



حماة مدینتی رأیتها بعد ربع قرن:
من أین یا عصماء أبداً احرفي.
ألف البداية تستحي من ياكٍ
نيرون لو شهد الواقع يومها.
لجهی أمامک خاشعا وبکاک

هکذا بدأ شاعر تدميري قصیدته يرثی بها حماة وأهلها بعد أن وصلتنا الأخبار أن المدينة وأهلها قد استبيحت لمدة شهر من قبل العصابات الأسدية.

تدمیر، سلب ونهب وسرقة، اغتصاب، اعتقالات، تشرید، هذا ما حمل بمدینتی الجميلة، وهکذا تواردت الأخبار من المعطلين الجدد القادمين الى تدمر، نعم أخبار يشيب لها الولدان عبر عن ذلك شاعرنا بقوله:

نيرون لو شهد الواقع يومها ... لجهی أمامک خاشعا وبکاک

لكن ليس الرأي كمن سمع، رجعت إلى حماة الحبيبة بعد سجن دام ربع قرن لأشاهد وأرى وأسمع آثار الجريمة النكاء، أحياء قد أزيلت وبني بدلاً منها فنادق ومراكز للدولة: (حي الكيلانية العريق-حي الزنبقي-حي العصيدة-حي البارودية، وأحياء أخرى) أكثر من ثمانين مسجداً قد دمر، أربع كنائس، اعتقل كل رجال المدينة، قتل واستشهد ما يقارب الأربعين ألفاً، مفقودون لا يعلم عنهم أهلوهم شيئاً، الآلاف زاروني وسألوني عن ذويهم لكن لا جواب.

تجولت في المدينة أتحسس أخبار إخواني أصدقائي جيراني، أصدقاء الطفولة والمدرسة، لكن لم أجد إلا القليل القليل، وكلما

سألت عن أحدهم قالوا : استشهد، وهكذا..

أصدقائي في آخر عام دراسي ثالث ثانوي، كان العدد أربعين، بقي منهم أقل من عشرة، خمسة وعشرون استشهدوا، وعشرة هاجروا

ولم يبق في مدینتي إلا خمسة:
رحل الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا
كم من أخ لي صالح بوأته بيدي لحدا
أليس له أثوابه وخلفت يوم خلقت جلدا
وقف محزن.

جلست أمام أحد المحلات التجارية وأتى أحد الجيران جلس معنا وببدأنا نتحدث وعرفت أنه لاحظ أحد أصدقائي تشجعت وسألته : (هل أخوك احمد ؟؟) وأنا لا اعلم عن أحمد شيئاً، أجابني : (نعم أخي أحمد، من أنت ؟؟)

قلت : (أنا صديقه في الدراسة) وعندما عرفته عني عرفني وذكرني، بدأ يتكلم ويبكي: أخي احمد قد أخرجه الجيش من بيتنا فااصر والدي ان يذهب معهم، وبعد أيام علمنا أن والدي واخي قد استشهدوا.

بكينا معاً، أحمد هذا لطيف مجتهد هادئ بيته قريب من المدرسة، كنا ندرس معاً في بيته عاشر وحادي عشر وبكلوريا، كنت أحبه وبيننا ذكريات وذكريات، رحمة الله تعالى ورحم أبااه ورحم الشهداء جميعا.

بدأت أسأل: أين هشام وإبراهيم وعبد الحميد وبشار ووليد، أين الأحبة والأصدقاء ؟؟

قلت في نفسي:

ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلي ولا جيرانها جيرانا

آلاف القصص سأرويها وسأكتبها، هكذا استقبلتني مدیني حزينة باكية، هكذا استقبلتني نواعيرها تبكي وتئن حزينة، وزيادة في إجرامهم تركوا بعض الآثار والبيوت مهدمة لتكون مذكرة لمن قد تسول له نفسه بالخروج عن الطاعة والانقياد لكن هذا لم يفيد.

لم تكن درسا مفزوا لأبناء مدینتي خاصة ولأهل سوريا عامة، بل كان ذلك محفزا لينطلقوا الانطلاق المباركة الجديدة التي عممت كل سوريا وقدمت آلاف الشهداء.

كتبت في ذكرى مجردة حماة الكبرى 2/2/2020

المصادر: